الدكتور الياس زين ، **هجرة الادمغة والهجرة المضادة من اسرائيل** (سلسلة دراسات فلسطينية ، رقم ٧٩ ، مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٧١)

تعتبر الهجرة اليهودية الى فلسطين من الاهداف المرحلية المهمة التي سعت الحركة الصهيونية الى تحقيقها . ولولا الهجرة اليهودية الكثيفة لما قام الكيان الاسرائيلي . ولولا تدفق المهاجرين بعد عام ١٩٤٨ لما تمكن هذا الكيان من الاستمرار في البقاء . ولهذا اكتسبت مسألة الهجرة أهمية بالغة لدى الاسرائيليين ، فاعتبر **بن غوريون** « ان بقاء اسرائيل يعتمد فقط على توفر عامل الهجرة الواسعة » ، ووجد **أشكول** « ان حق الحركة الصهيونية في الحياة يعتمد على نجاحها في مجال الهجرة » ، وأدرك **ناحوم غولدمان** « ان مستقبل الصهيونية العالمية يتوقف على سياسة الهجرة اليهودية الى إسرائيل خلال العشر سنوات القادمة » .

وبما ان اسرائيل تعتمد كل الاعتماد على الهجرة فان اية حركة نزوح منها ، يقوم بها أولئك الذين هاجروا اليها أو أولئك الذين ولدوا فيها ، كفيلة باثارة القلق في أوساط الرأي العام الداخلي وباحداث أثر عكسي سلبي في نفوس يهود الخارج المرشحين للهجرة الى الارض المحتلة . وبما ان اسرائيل ، لدى انهماكها بتنظيم الهجرة ، تحرص على استقطاب النخبة واجتذاب الصفوة من الفنيين والاختصاصيين فان اية محاولة لهجرة الادمغة منها تشكل خطرا على مستقبلها .

وموضوع الهجرة الى اسرائيل والنزوح منها ليس بالامر الذي يعني ويؤرق جفون الاسرائيليين فقط ، بل هو يعنينا نحن كذلك ويجب أن يحظى منا بكل عناية واهتمام . ففي كل مرة يهاجر فيها يهودي الى اسرائيل يزداد عدد البنادق المصوبة نحونا ويتضاعف عدد الادمغة والايدي التي تعمل ضدنا . وفي كل مرة ينزح فيها يهودي من اسرائيل يخف العبء عنا ويصابون هم بخيبة الامل في تأمين الامن والاستقرار .

ودراسة الهجرة الاسرائيلية ، ولا سيما هجرة الادمغة من اسرائيل ، مهمة شاقة . فاسرائيل تحيط هذه المسألة بالصعوبات وتحرص على اخفاء الارقام الحقيقية . ثم ان معظم اليهود الذين يغادرون اسرائيل لا يسجلون كمهاجرين . ان كثيرا من الطلاب الذين يتوجهون الى اميركا للدراسة يبقون فيها دون ان تدرج أسماؤهم في سجلات النزوح . بل ان العدد الاكبر من النازحين يكتم قصده عن الجميع لاسباب شخصية او اجتماعية. ولهذا كانت المراجع والدراسات حول موضوع الهجرة الاسرائيلية قليلة او نادرة ، وكانت المعلومات التي تنشرها الدوائر الرسمية والصحافة في اسرائيل عن عدد النازحين متضاربة. وازاء هذه الصعوبات أحجم معظم الباحثين عن معالجة الموضوع . غير ان الدكتور الياس زين صمم على التصدي له وأصبح — بعد نشر أبحاثه المتعددة عن الهجرة والنزوح في اسرائيل والاقطار العربية — من الاختصاصيين المرموقين في هذا الحقل . وفي كتابه الصادر عن مركز الابحاث يعالج مسألة النزوح الاسرائيلي من زاويتين : هجرة الادمغة ، وهي تتعلق بنوعية المهاجرين ، والهجرة المضادة العادية ، وهي تتناول مجموع النازحين العاديين .

في القسم الاول من الكتاب يعالج المؤلف هجرة الادمغة التي تعتبر من أخطر المشاكل التي تواجه اسرائيل ، والتي استفحل أمرها خلال اندلاع الازمة الاقتصادية في أواسط الستينات . وكان لها أسوأ الاثر في نفوس الاسرائيليين . ومع ان هذه المشكلة ليست وقفا على اسرائيل (باعتبار ان كل الدول النامية وبعض الاقطار المتقدمة تشكو منها)، فان لتفاقمها في اسرائيل وقعا او معنى خاصا : ان اسرائيل كيان قائم أساسا على الهجرة وعلى استنزاف الادمغة في الدول الاخرى ، وكل نزوح منها لاصحاب الكفاءات العلمية لا يمكن ان يفسر الا انه نكسة لتجربة هذا الكيان واضعاف لمعنويات اليهود واحباط لمشاريع الانماء والتوسع فيه .

ويستعرض المؤلف هجرة الادمغة بالارقام ، ويبين اسبابها والاجراءات التي اتخذتها اسرائيل لمحاربتها أو الحد منها ، في الداخل والخارج . فقد أعارت اسرائيل هذه المشكلة اهتماما بالغا ووضعت تدابير مختلفة وابتكرت وسائل جديدة لمجابهتها وحث النازحين على العودة . لقد أدركت ان هجرة العلماء منها خسارة لا تعوض ، وهدر للمال الذي أنفقته على تعليمهم وتدريبهم ،